كنت اقول يا رب هل يستريح العالم من انكلترا واستعمارها ؟ لنفرض ان الالمان كانوا اشرارا ان انتصروا وحكموا مصائر البشر بدلا من الانكليز ، فهل يمكن ان يكونوا شرا من الانكليز ؟ اما اذا كان الالمان مثل الانكليز فلا نكون قد خسرنا شيئا »(٢٦). وحين سمع بذهاب الامير عبدالله الى الملك عبد العزيز ليتفق معه على منع الالمان من النزول في البلاد العربية بدلا من ان يفكر في اخراج الانكليز الموجودين فعلا في بلاده يقول الطاهر « .. لقد كان نزول الالمان في البلاد العربية هو غاية ما نرجوه للتخلص من الانكليز ، وان قال قائل ، كيف ترجو ان يحل الالمان محل الانكليز ؟ أقول انني افضل ان يجتاح البلاد العربية كل من يستطيع ان يخلصها »(٢٧).

كان يرى ان معركة ستالنغراد (اوائل ١٩٤٢) ستقرر مصير العالم الى مئات السنين فلو هزم الالمان لربحت انكلترا الحرب على حساب روسيا ، كما تربحها امريكا بعد الحرب على حساب انكلترا لان هذه ستتفق مع امريكا وتلجأ اليها بعد الحرب .. ولا يمكن الا هذا ، ولن تسمح امريكا للروس بأن يشاركوها السيادة على العالم .. وقد قال العرب قديما « .. ما اجتمع فحلان على مذود الا فتك احدهما بالاخر »(٢٨).

لقد كان يفهم من معاني انتصار الانكليز والحلفاء اشياء كثيرة « ويكفي منها بقاء الاستعمار في الدنيا على صورته البشعة واساليبه المروعة .. وستصير فلسطين طعمة لليهود ، والويل للعالم العربي من انكلترا ، والويل للامم الضعيفة ما دامت هذه الدولة موجودة في الدنيا فهي أم الاستعمار وبؤرة العدوان ومثار الحروب » لقد كان يتوقع « ان انكلترا في حالة الانتصار ستتنمر ، وان فرنسا ستأسد ، وان الاستعمار سيكشح في عدوانه علينا ... » .

لذا فقد انعشته اخبار ثورة رشيد عالي الكيلاني التي سمعها في اثناء فراره « .. اذ تنذر بأن ساعة الانكليز قد دنت ، وها هو العراق قد تحرك وليس بعد ذلك الا قيام العالم العربي على الاستعمار .. »(٢٩). لقد كان كل شيء في ذلك الحين يؤذن باستسلام بريطانيا بين يوم وآخر ». واعتبر الطاهر انتصار بريطانيا على حركة العراق هزيمة للعالم العربي بأسره « .. ومما يؤلم ويسود وجه التاريخ العربي ان هذا العالم العربي قد خذل العراقيين وحركتهم التحررية خذلانا واضحا وكانت حكومة شرق الاردن المحسوبة على العرب بأنها منهم قد نجحت ضد العراق وساقت جيوشها العربية ودباباتها الانكليزية وطعنت العراق من الخلف فأعادوها الى كنف الاستعمار وأبقوها معهم تحت كلكله »(٣٠).

كان يطمح وهو يسمع اخبار الهزائم البريطانية امام الالمان ان تقوم حركة عليهم في الهند او مصر او بلاد العرب تكون كافية لفض مشكلتهم معهم وخلاصهم من الاستعمار الى الابد . لقد كان يتصور لو ان العربي والمسلم الذي يسكن هذا الشرق قد تحرر من انكلترا فان حجتها تسقط فورا حين تقول « انها تتخذ قنال السويس خطا دفاعيا عن الشرق خوفا من روسيا ، لان البلاشفة يستطيعون تدمير قنال السويس بضربة هوائية واحدة »(٣١). ولكن العالم العربي والاسلامي « ظل نائما ينتظر ان يهبط عليه الاستقلال من السماء مكتفيا بالفرجة على الامم التي تتطاحن في سبيل المجد والسيادة والسيطرة ، غافلا عن الحقيقة وهي ان هذه المذبحة الدائرة على وجه الارض انما تدور من اجل التسلط عليه وخنقه الى يوم البعث » . بل لقد وجد ان بعض اجزاء من العالم العربي والاسلامي لشدة غفلته وتفككه تسابق في مساعدة بريطانيه على كسب الحرب ، مع انه قد سبق له ان خدع بكذب تلك الدولة في الحرب الاولى « .. فاذا كانت الغفلة قد استحوذت على الامم المقهورة اكثر من مرة في خلال ربع قرن بينما لا يزال ابناء ذلك الجيل احياء فما اجدر ابناء الاجيال المقبلة بالسخط على الجيل الذي انخدع في ربع قرن مرتين »(٣٢).

ظروف الحرب العالمية الثانية قد اوجدت مؤسسة جديدة في العالم العربي هي الجامعة العربية وسجل الطاهر في (ظلام السجن) قيام الجامعة فكان من اول الداعين ومن اشد الذين صوبوا لها النقد . لقد كان خوف بريطانيا في أوائل ١٩٤٣ ، كما يقول الطاهر في كتابه(٣٣)، مما يتمخض به العالم العربي من حركات استقلالية وفورات حقوقية ، بينما كانت في الوقت نفسه تعاني الهول من الحرب ، فساورها القلق من قيام العالم العربي عليها بحركة تزيد في دقة مركزها الحربي مع الالمان فرأت ان تقوم بخديعة تشغل البال عنها كعادتها كلما نكبت بنكبة عالمية ،